أ.د. محمد الدسوقي
أستاذ كلية دار العلوم ☐ جامعة القاهرة

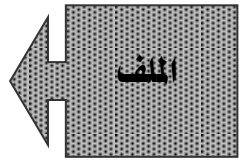

عقبات في طريق الوحدة الإسلامية

الصفة الشرعية للوحدة الإسلامية

إن الوحدة الإسلامية بالحكم الفقهي واجبة شرعاً، فليست عملاً ترغيبياً يدعى إليه، وإنما هي أمر واجب يلزم كل مسلم يشهد بأن الله واحد أحد فرد صمد، وأن محمداً عبده ورسوله، وهذا الواجب يطوق عنق كل مسلم سيسأل عنه يوم الدين.

والوحدة فضلاً عن أنها واجبة شرعاً تؤكد علاقة الأخوة الإسلامية التي كان المسلمون بها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وإذا قلنا إن المجتمع الإسلامي جسم واحد فإن الأخوة الإسلامية هي روح هذا الجسم، فإن تحققت بالوحدة كان هذا الجسم حياً ينبض بالحياة، وإذا لم يتحقق كان هيكلاً ميتاً لا نماء فيه ولا حياة..

فوحدة الأمة الإسلامية أمر معلوم من الدين بالضرورة لا يماري فيه مؤمن ولا ينبغي أن يجادل فيه مسلم، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تقرر هذه الحقيقة كثرة، منها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[٣]، وقال رسول الله(ص):

"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله"[٤]، وقال: "كل المسلم على المسلم حرام، ماله وعرضه ودمه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"[٥].

إن هذه الأخوة الإسلامية تجعل الأمة كتلة متماسكة ينحدر عنها السيل، ولا يرقى إليها الطير، ويرتد عنها كل من أرادها بسوء خاسئاً وهو حسير.

على أن الوحدة الإسلامية وحدة إنسانية غايتها تحقيق التقدم والرفاهية للناس جميعاً، فليست وحدة عنصرية طائفية متعصبة تعيش في دائرة مغلقة، وتؤمن بأفكار منحرفة فاسدة تجلب على الإنسانية الضر والشر، كما نرى لدى بعض الشعوب والأمم في العصر الحاضر.

ضرورة الوحدة اليوم

إذا كان من المقررات الثابتة أن الأمة الإسلامية لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، ولا تستطيع أن تعود إلى ماضيها العزيز الكريم إلا إذا أخذت بالأسباب التي قام عليها ذلك الماضي، فإن العرب قبل الإسلام كانوا أوزاعاً بأسهم بينهم شديد، ومن ثم لم يكونوا مصدر قلق لغيرهم من الأمم، ولكن العرب بالإسلام أصبحوا أمة جديدة في عقيدتها وسلوكها، أمة توحدت كلمتها وقويت إرادتها فهزمت أكبر قوتين في العالم في القرن الأول، وقادت البشرية إلى حضارة إنسانية، وأذهلت العالم بفتوحاتها في شتى الميادين.

وإذا كانت وحدة الأمة عبر تأريخها الطويل قد أصابها الوهن والفتور في بعض العصور فإن الأمة في حاضرها في أمس الحاجة إلى بناء وحدتها؛ لأن أعداءها تكالبوا عليها من كل جانب، وتواطأوا على تمزيقها، والسعي لزحزحتها شيئاً فشيئاً عن أصول عقيدتها وخصائص هويتها، ولا سبيل إلى أن تسترد الأمة عافيتها، وتحول بين أعدائها وما يخططون له للهيمنة عليها ونهب ثرواتها إلا بالواحدة الجامعة، فهي طريق القوة والعزة والكرامة، لأن عماد هذه الوحدة الإسلام دين الأخوة الإنسانية، ودين العدالة

الحقيقية لأنها لا تفرق بين جنس وجنس ولا لون ولون، ودون المساواة ومكارم الأخلاق، وأخيراً دين الحق والقوة.

على أن الوحدة المنشودة لا تعني أن تكون هناك قيادة واحدة للأمة، فهذا أمل لا سبيل إلى بلوغه في ظل الأوضاع السياسية المعاصرة، وإنما يكفي في المرحلة الحالية أن يكون بين الشعوب الإسلامية سياسة خارجية واحدة وسياسة اقتصادية متكاملة، وسياسة دفاعية مشتركة، وسياسة ثقافية ذات أصول واحدة، وهذا ما دعا إليه البيان[٦] الختامي للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، فقد شدد على أهمية وحدة الأمة الإسلامية، ودعا إلى العمل الجاد لإصلاح أوضاع هذه الأمة وتعزيز وحدتها، وإعداد العدة للدفاع عن نفسها وعقد اتفاقيات أمن مشتركة بين الدول الإسلامية لحمايتها من الأخطار المحيطة بها.

عقبات في طريق الوحدة

إن طريق الوحدة المنشودة ليس مفروشاً بالورود، ولكنه مترع بشتى الأشواك والعقبات، وبعض هذه العقبات داخلي، وبعضها الآخر خارجي، وإن كانت العقبات الداخلية مرد كثير منها إلى الغزو الثقافي والاجتماعي الذي صاحب الغزو العسكري للعالم الإسلامي، والذي ما زال تأثيره قائماً حتى الآن.

أما العقبات الداخلية فأهما ما يلي:

أ- الأمية الدينية

لا يراد بهذه الأمية الجهل الديني؛ بمعنى عدم المعرفة، وإنما يراد بها نماذج متنوعة من التصور الديني غير الصحيح، والذي أورث المجتمع الإسلامي صراعاً فكرياً عرقل مسيرة الدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

ومن تلك النماذج اتجاه بعض الباحثين إلى تبني أفكار ومفاهيم تعكس جهلاً بمقاصد الدين، وخلطاً في فهم آياته، وهؤلاء يرون أن الإسلام مجرد كليات أقرب إلى

المواعظ الأخلاقية ويقصرون أحكامه على عصر السلف، ويفسرون النص الشرعي كتاباً أو سنة تفسيراً يرفضه منطق اللغة، ولا يقره ما أجمعت عليه الأمة من مسلمات منذ أربعة عشر قرناً، كما يعكس فكراً حاقداً ضد الصحوة الإسلامية، ومحاولة توجيه تيارها وجهة أخرى تكون أقرب إلى الانتماء الثقافي الغربي، والافتنان بحضارة أوروبا أكثر من انتمائها إلى الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.

ويبدو هذا الاتجاه الذي يعطي للعقل الحاكمية على الوحي، ويقضي على النص الشرعي بأنه صدى للواقع أو منتج ثقافي، كما أنه يقاوم تطبيق الشريعة، ويرفض تجديد الفقه وفق الضوابط المنهجية الأصولية في كتابات عدد من المعاصرين، وهي كتابات تأثرت بالفكر الغربي على الرغم من أن أصحابها حاولوا التخلص من الطرح الاستشراقي على حد قول بعضهم(٧).

إن ذلك الاتجاه – ولا مجال لتفصيل القول فيه – يثير في المحيط الثقافي الإسلامي غيوماً تحول دون الرؤية الصحيحة لقاعدة الوحدة الإسلامية، كما تكون عاملاً من عوامل الصراع حول صلاحية الحل الإسلامي للخروج بالأمة من النفق المظلم الذي تردت فيه منذ عدة قرون. ويضاعف من خطر هذا الاتجاه على الوحدة الإسلامية أن كثيراً من رموزه يعمل في مجال يتيح له أن ينشر أفكاره بين الشباب كالتدريس الجامعي، أو بعض وسائل الإعلام، فضلاً عن أن جهات معادية لهذا الحل تشد أزرهم وتبارك نشاطهم، ومن ثم كان هذا الاتجاه عقبة كأداء في مسيرة العمل من أجل الوحدة الإسلامية.

والاتجاه الثاني الذي يعبر عن سطحية في فهم الإسلام يتمثل في بعض الشباب الذين لا تعدو ثقافتهم الإسلامية قراءة غير واعية لبعض الكتب الحديثة في الفقه والأصول والسنة، والذين يرون أن الاجتهاد حق لكل مسلم دون أن يدركوا أن هذا الحق لا يتمتع به إلا من تحققت فيه ما تواضع عليه العلماء من شروط، وهي شروط ليست تعسفية؛ لأن الشرع والعقل يقضيان بها.

إن هؤلاء الشباب الذين يدفعهم الحماس العاطفي الذي يفتقر إلى الوعي الثقافي

الإسلامي، والأهلية العلمية للاجتهاد، والذين يتصدون لاستحداث الآراء والفتاوى في النوازل العصرية[٨] لا يقلون خطراً على الوحدة الإسلامية من أولئكم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويجعلون للعقل سلطاناً على الوحي.

ويلحق بهؤلاء المتطفلين على الاجتهاد بعض الكتاب والدعاة الذين يرددون – بلا تبصّر – المفاهيم الفقهية التي تصادفهم في مؤلفات أسلافنا العظماء دون أن يتبينوا أن لهذه المفاهيم أصولاً تأريخية وظروفاً موضوعية سببت نشأتها وسوغت وجودها وأدت في ظلها وظيفتها[٩].

أما الاتجاه الثالث الذي يعد ضرباً من الأمية الدينية فيمكن أن يطلق عليه الانغلاق الفكري، وهو اتجاه يؤثر أصحابه أن يعيشوا ثقافياً في دائرة واحدة من المذاهب سواء أكانت دينية أم وضعية، ويرون أن ما يؤمنون به يجب على الجميع أن ينضووا تحت لوائه، ويكون من أثر ذلك إصدار الأحكام الباطلة؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ومن جهل شيئاً عاداه، وهذا ما تعاني منه اليوم الساحة الإسلامية، فكثير من الآراء التي لها اتجاه ثقافي ضد اتجاه آخر تعبر عن جهل بهذا الآخر، وتتبنى ما هو شائع بين الناس من أفكار لا تنهض على مصدر علمي، ولا تعبر عن حقيقة لا مراء فيها، فمثلاً دعاة العلمانية الذين يناهضون الدعوى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية تهيمن على عقولهم مفاهيم لا علاقة لها بثوابت الأمة، وأصولها الحضارية، وإنما ترتبط هذه المفاهيم بإفرازات النموذج الغربي المتنوعة، ولا تعنيه أصالة الأمة وثوابتها في قليل أو كثير، ويرى أن الحفاظ على هذه الثوابت رجعية، والانفلات منها تقدماً.

وكذلك ما يتردد على ألسنة البعض من أهل السنة حول المذهب الشيعي وعلمائه مما يشوه صورة هذا المذهب، وما يتردد أيضاً على ألسنة بعض الشيعة مما ينفر من أهل السنة، وهذا كله ناجم عن الجهل وعدم الفهم الصحيح لأصول المذاهب، وأسباب الاختلافات بينها..

إن هذا الانغلاق على ثقافة خاصة والتعصب لها دون الانفتاح على سواها من

الثقافات، ودون الأخذ بالمنهج العلمي في الحكم على الآخر، يؤدي إلى اضطراب في المفاهيم الإسلامية، وإصدار أحكام تفتقر إلى الموضوعية والأمانة العلمية، وتكون ثمرة هذا هو زرع الألغام المدمرة في طريق الوحدة الإسلامية.

ب- النزعات القومية

إن الرابطة الإسلامية كانت قوية إلى أن تحركت الشعوبية، وأراد كل شعب أن يحيي أرومته ويعلن قوميته، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني، وأخذت تلك الحركات تنمو وتتسع وتزيد، حتى قامت اللغات القديمة، وتكونت الدول الإسلامية، وتفرق أمر المسلمين، وأخذت تلك الدول يحارب بعضها بعضا، ولم تكن هناك وحدة بين بعض هذه الدول إلا عند الشدة، كما فعل صلاح الدين في حربه ضد الصليبيين، فقد جمع شمل البلاد الإسلامية المتقاربة، ولكن لم تلبث هذه الوحدة أن تفرقت من بعده، واستمر التاريخ في سيره نحو التفريق[١٠]، ولم تكن هيمنة الخلافة العثمانية على كثير من الدول الإسلامية تعبيراً عن وحدة حقيقية، وإن كانت تمثل – ولو من الناحية الشكلية – وحدة الكلمة والقيادة، فلما وزعت تركة الرجل المريض بين المستعمرين لم يقنعوا بهذا، وإنما دبروا أمرهم بليل ليضمنوا إبقاء قبضتهم ونفوذهم واستمرار ضعف العالم الإسلامي وعدم وحدته وقوته، فأخذوا يثيرون المشكلات بين الشعوب الإسلامية كالحدود والمياه الإقليمية، كما أخذوا يخططون لنشر فكرة القومية تمكيناً للشقاق والتجزئة وخلخلة كيان المجتمع الإسلامي وتمزيقه، فاشتدت الدعوة إلى الفرعونية في مصر، وإلى الفينيقية في لبنان وإلى الأشورية والكردية في العراق وإلى الساسانية في إيران وإلى البربرية في المغرب، وإلى الطورانية في تركيا.

ومن دلائل العمل من أجل تمزيق العالم الإسلامي – وبخاصة العربي منه –الدعوة إلى إحياء اللهجات الإقليمية، ووضع قواعد لها والكتابة بها، وهجر اللغة العربية الفصحى، لصعوبتها كما يزعم الزاعمون.

ولا مراء في أن اللهجات الإقليمية وجعلها لغة الكتابة والعلم يحيل العالم العربي إلى أمم متباينة اللغات، وهذا يساعد على الفرقة والتجزئة، ولا تلقى في ظله الدعوة إلى الوحدة الإسلامية قبولاً واستجابة، فضلاً عما في ذلك من فصل بين حاضر الأمة وماضيها، وهذا أمر يحرص عليه الاستعمار كل الحرص؛ لأنه يحقق مساعيه في القضاء على شخصية الأمة وغزوها الفكري.

وكان أخطر ما خطط له الاستعمار مع الصهيونية العالمية إنشاء وطن لليهود في وسط العالم الإسلامي، وطرد شعب مسلم من دياره ليمكن للفرقة المادية بين دول وشعوب هذا العالم، وليكون الصراع بينه وبين اليهود وسيلة لبقاء الدول الإسلامية ضعيفة لا تحقق لشعوبها تنمية اقتصادية أو ثقافية، وبذلك يظل للاستعمار العالمي الكلمة الأولى في حياة هذه الدول..

إن القاعدة الاستعمارية "فرق تسد" طبقها المستعمرون في العالم الإسلامي تطبيقاً فرق هذا العالم وأثار الشقاق والشحناء بين قياداته وشعوبه، وما زال بعد تحرره واستقلاله يجتر آثار تلك القاعدة حتى الآن، ومن هنا كانت النزعات الإقليمية عقبة لا يستهان بها في طريق الوحدة الإسلامية.

ج- الجماعات الإسلامية والخلافات المذهبية

يشهد العالم الإسلامي في العصر الحاضر جماعات تنتسب إلى الإسلام، وتؤكد كل منها أنها تعمل لخدمة هذا الدين والمؤمنين به، وهذه الجماعات بدلاً من أن تكون طاقات فكرية واعية تتكامل في سبيل العمل الإسلامي الذي يتغيا نهضة الإسلام والمسلمين أصبحت بوجه عام تمثل خللاً في مسيرة الدعوة الإسلامية، وذلك أنها لا تفهم من الإسلام إلا أنه أوراد تتلى، وأذكار تقام ولحى تُعفى، وشوارب تُحفى، وعذبات ترسل، وأثواب تقصر، هذا الفهم من الشوائب المخدرة التي علقت بالإسلام حين صده الجهل والضعف عن سبيله فتراجع فيضه وسكن تياره.

يقول الشيخ محمد الغزالي: إن أعداداً كبيرة من المتدينين تائهون في هذه الموضوعات، وإن هناك علماء هم في حقيقتهم عوام لا شغل لهم إلا هذه الثرثرات والتقعرات وخلفوا أجيالاً من بعدهم لا هي في دنيا ولا هي في دين.

وضرب الشيخ على ذلك مثلاً باستقلال باكستان فقد ذكر أن الخلاف بين الأحناف وأهل الحديث، وبين التبليغيين ورجال الجماعة الإسلامية حول مثل تلك الموضوعات ضيع على هذه الدولة أوقاتاً غالية وشغلها بأمور ثانوية[١١].

إن الاهتمام بالجزئيات والتعلق بالقشور والسطحيات جعل روح الجدل العقيم تطغى وتصرف عن العمل، وما ابتليت أمة في حياتها بشر كما ابتليت من كثرة القول وقلة العمل.

على أن الاهتمام بتلك الجزئيات يعكس عجزاً عن فقه الدنيا والاقتدار على تسخيرها لخدمة الدين، فالدين الحق تقوى تعمر القلوب بالعبادات التي لا يستغرق تعلمها غير زمن يسير، ثم مهارات في شؤون الحياة تتحول مع صدق النية إلى وسائل لدعم الحق وسيادته.

أما الخلافات المذهبية فإنها شاهد على أن الفقهاء لم يختلفوا لهوى أو نصرة لمذهب، وإنما كانت لهم أصول للاستنباط عولوا عليها في بيان الأحكام، فهذه الخلافات من ثم آية من آيات الاجتهاد وحرية التفكير فيما هو مجال للنظر، وقد قدمت للأمة ثروة من الآراء تؤكد أن الفقه الإسلامي بكل مذاهبه فكر حي يحمل في أطوائه أسباب نموه وتطويره ومواكبته لتيار الحياة.

على أن هذه الخلافات لون من الفهم البشري للنص الشرعي ومقاصده، فليس لها قداسة هذا النص، وليس لآراء الفقهاء والمجتهدين –على ما لها من قيمة علمية – صفة الثبات والخلود.

فالجماعات الإسلامية باهتمامها بالجزئيات والمسائل الفرعية، واختلافها حول كثير من هذه المسائل تضع الأشواك الدامية في طريق الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، كما أن

التعصب من المقلدين للآراء الفقهية، واعتبارها في منزلة النص الشرعي وأن عدم الأخذ بها يعد مروقاً من الدين سبيل لتمزيق وحدة الأمة، ونشر الأكاذيب المثيرة للفتن والعداء بين الأخوة المسلمين يعد كذلك عقبة في طريق الوحدة الإسلامية.

د- الأحزاب السياسية

مني العالم الإسلامي في ظل الاحتلال بظاهرة الأحزاب، وهذه الأحزاب تأثرت في نشأتها بالمفاهيم والتقاليد الغربية، وساعد على هذا أن قيادات هذه الأحزاب تلقت تعليمها في الجامعات والمدارس الغربية، ولم يكن لديها تمثل واضح لعقيدتها الإسلامية، ولهذا لم يكن لتلك الأحزاب في نشأتها مرجعية دينية، وآزرت هذا التوجه السلطات الاستعمارية؛ لأنها كانت تحرص على ألا يكون للإسلام تأثير في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حتى يتسنى لهذه السلطات أن تفرض العادات الغربية على الشخصية الإسلامية، ليفتر حماسها نحو الالتزام الكامل بشعائر دينها.

وهذه الأحزاب التي تبنت النظرية الغربية في فصل الدين عن الدولة كان رد الفعل من هذا التبني في صور متعددة كالجمعيات الأهلية الإسلامية وبعض الأحزاب التي آثرت أن تفصح عن هويتها الدينية، وأعلنت أنها تجاهد من أجل تطبيق الشريعة لأنه لا إصلاح إلا بأحكام الله في كل مجالات الحياة، وكان لابد أن ينشب بين تلك الأحزاب وما نشأ كرد فعل لها صراع تجاوز مجالات الفكر النظري إلى أن تمارس الأحزاب ضد التوجهات الإسلامية سياسة القمع والإرهاب، لأن مقاليد الحكم كانت بأيديها، وكانت تخاف من تعاطف الجماهير مع هذه التوجهات الإسلامية فتفقد الأحزاب سلطانها في الحكم، وهذا الصراع تدعمه لصالح الأحزاب أقلام علمانية وأبواق استعمارية، وتكون النتيجة معاناة الأمة من تمزق وتفرق يعوق حركة الوحدة الإسلامية.

هـ- التدخلات الأجنبية

لم يتعرض دين من الأديان إلى المقاومة لمده وانتشاره أو معاداة أهله والمؤمنين به كما تعرض الإسلام.

إن هذا الدين الذي بعث به محمد ﷺ إلى الناس كافة قد واجه منذ ظهوره وحتى الآن أعداء ألداء حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، لقد تنوعت أساليب الكيد والمكر، وتألبت طوائف ودول على هذا الدين تريد أن تجتث جذوره وتقوض بنيانه غير أنه ظل – بفضل الله – كالصخرة الشماء التي لا تعبأ بالوعول الحانقة ولا تلقي بالاً للقرون التي أصابها الوهن ولم تبلغ ما تريد.

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وفي العصر الحديث خضعت دول العالم الإسلامي كله تقريباً لوطأة الاحتلال الصليبي، وما كان هذا الإحتلال يريد بالدرجة الأولى أرضاً يسكنها أو ثروة يستولي عليها، وإنما كان يريد إماتة روح الإسلام بين المسلمين، ولذلك شن حرباً شعواء في صور وألوان مختلفة من أقساها وأشدها فتكاً بخصائص المجتمع الإسلامي هذه الحرب الفكرية الإلحادية التحللية التي وجهت وتوجه الفكر الإسلامي وجهات بعيدة كل البعد عن معالم دينه، وصرفته عن منابعه الأصيلة وأصوله التي أنزله الله عليها.

وكان الاستشراق هو وسيلة ذلك الاحتلال، ولشن الحرب الفكرية وهذا الاستشراق يعد ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر الإنساني، فلم يعهد أن توافر مثل هذا العدد الكثير من الباحثين – على ما بينهم من التباين في العقائد واللغات والجنسية – على دراسة دين لا تؤمن به كما فعل المستشرقون.

كذلك يمثل الاستشراق ظاهرة فريدة من ظواهر القوى المضادة للدين الإسلامي، فقد تجاوزت تلك الظاهرة عشرة قرون من تاريخها وما زالت تسعى وفق منهج مدروس نحو غاية واحدة وهي زحزحة المسلمين شيئاً فشيئاً عن جوهر دينهم، والحيلولة دون وحدتهم، فهذه الوحدة في نظر الاحتلال هي الخطر الأعظم على مصالح المستعمرين، وقد جاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني لرئيس حكومته بتاريخ ٩

من يناير سنة ١٩٣٨ ما يأتي:

"إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الإمبراطورية وحدها بل فرنسا أيضاً، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة"[١٢]، فالتدخلات الأجنبية تنظر إلى الوحدة الإسلامية نظرة توجس وخوف على مصالحها، وهي لهذا تبذل ما تستطيع لتظل الأمة ممزقة في دول تختلف فيما بينها على الحدود التي صنعها الإستعمار وغذاها بالقومية والجنسية.

واليوم يخطط الاحتلال – وإن لم يكن له جيوش تحتل الأرض – لتمزيق الشعب الواحد إلى شعوب متناحرة ودول متدابرة، حتى يتعذر أو يستحيل أن تفكر الأمة في وحدة.

والتدخلات الأجنبية لن تفتر في سعيها المحموم لمحاربة الوحدة الإسلامية وتقف من ورائها في هذا إسرائيل والعملاء الذين تعاونوا مع الأعداء لمنع إلتقاء الأشقاء وجمع كلمتهم، ومن ثم تعد هذه التدخلات من أخطر العقبات في طريق الوحدة الإسلامية.

دعائم الوحدة

تلك أهم العقبات التي تعرقل مسيرة الوحدة الإسلامية، ولكن ميثاق الوحدة يعد الخطوة العملية الأولى لبلوغ الغاية في تحقيق الوحدة الإسلامية، ومع هذا لا يكفي هذا الميثاق وفقه كل ما اشتمل عليه من مواد وتوجيهات؛ لأن طريق الوحدة طويل ولن يكف الأعداء عن زرع الألغام في هذا الطريق، ولهذا ينبغي التخطيط العلمي المدروس الذي يقود مسيرة الوحدة إلى بلوغ غايتها، لابد من متابعة مستمرة للتذكير بضرورة الوحدة وأنها في العصر الحاضر هي ملاذ الأمة لحمايتها من الأخطار التي تهدد مستقبلها، يجب أن تكون قضية الوحدة مقرراً علمياً يدرس في المرحلة الثانوية والجامعية على مستوى العالم الإسلامي، وأن يراعى في المقرر التأكيد على الأمور

التالية:

أولاً: وحدة المشاعر في الإحساس بأن المسلمين أخوة بحكم الإسلام وأن الأخوة الإسلامية فوق الجنسية والعنصرية، وأن نتذكر بأن أول حكم تكليفي نفذه النبي ﷺ بعد الهجرة هو الأخوة الإسلامية في نظام الإخاء الذي قام به، فقد آخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بين الأنصار بعضهم مع بعض، وذلك ليشعر الجميع بأن الأخوة الإسلامية هي التي تجمع وغيرها يفرق، وإن أسباب هذه الأخوة قائمة والعقائد والتكليفات وحدها كافية لذلك.

ثانياً: وحدة ثقافية ولغوية واجتماعية تجمع بين المشاعر والأحاسيس حتى يقرأ كل مسلم ما يقرؤه الآخر، ويحاربوا كل ما فيه هدم للإسلام ويتفقوا على ما فيه رفع له، وإعزاز المسلمين، وأن يكون المجتمع الإسلامي قائماً على مبادئ الإسلام الصحيحة.

إنه من الضروري أن يعرف المسلمون أنفسهم بلغة جامعة بينهم هي لغة القرآن الكريم والسنة وهي العربية فإحياؤها إحياء للوحدة وتعميمها تعميم لها.

ثالثاً: ألا يكون من إقليم إسلامي حرب على إقليم آخر أياً كانت أساليب هذه الحرب، سواء أكانت بالاقتصاد أم كانت بالسيف، فهي في كلا شكليها توهين لقوى الإسلام وإضعاف لشأنه، وقد أمرنا بأن نصلح بين المسلمين إن تنازعت منهم طائفتان وأمرنا بأن يكون كل مسلم في حاجة أخيه المسلم، فقد قال ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"(١٣).

من السبل العملية للوحدة

من أهم السبل العملية للتقريب ما يلي:

١- نشر ثقافة الوحدة بين أهل الذكر من العلماء والحكام وذلك بعقد المؤتمرات في كل عام أو عامين ليجتمع فيها عقلاء المسلمين وعلماؤهم من

جميع الأقطار الإسلامية ليتعارفوا أولاً، وليتداولوا في شئون الإسلام ثانياً، وأوجب من هذا عقد المؤتمرات والمعاهدات بين قادة الشعوب الإسلامية ليكونوا يداً واحدة، أو كيدين لجسد واحد تدفعان عنه الأخطار المحدقة به من كل جانب..

٢- التصدي لهؤلاء الذين يقفون في سبيل الوحدة بالحكمة والموعظة الحسنة، وهم في كل بلد إسلامي وإن كان ظهورهم على أشكال وألوان مختلفة، فلهم طابع واحد مشترك، أو فكر واحد مميز، أو أمر واحد جامع، ذلك أنهم في فهمهم للدين يتبعون أفكار غير المسلمين، وهي أفكار مفرقة غير جامعة، لا تريد المسلمين قوة في الأرض دافعة أو مانعة، ولا أمة واحدة جامعة، بل يريدونهم أوزاعاً متفرقين لا حول لهم ولا قوة.

إن أول طرائق الوحدة يتمثل في محاورة هؤلاء الذين يقفون بآرائهم محاجزين للوحدة، وأن نحول بينهم وبين أن تكون مقاليد الحكم في أيديهم.

٣- التعرف على المذاهب من مصادرها، ولذلك كان من الخطوات العملية للتقريب بين المذاهب الفقهية والوحدة الإسلامية هو نشر المؤلفات الأصيلة لرجالات المذاهب وعلمائها، وتداولها بين كل المهتمين بالتقريب بين أتباع المذاهب، وتحقيق الوحدة، لأن الأفكار المرسلة والتي تنتشر بين جماهير الأمة، هي التي تساعد على التمزق والتفرق وتقف حجر عثرة في طريق الوحدة، ومن ثم كان من الضرورة العلمية، وأيضاً من الضرورة لوحدة الأمة أن تعرف أحكام المذاهب من مصادرها المعتبرة لا من أقوال خصومها.

٤- الإمساك عن المطاعن، ولهذا ينبغي أن تتوقف حملة الأقلام عن إثارة المشاعر برمي أتباع بعض المذاهب بالفظائع معولين في ذلك على بعض الآراء الشاذة، والروايات المدخولة، والأفكار المسمومة، لأن الذين يُهاجَمون ويُنتَقَدون سيلجأون إلى الدفاع عن أنفسهم فتثور الأحقاد وتستمر الحفائظ وتكون أكبر خدمة للأعداء والذين

يتربصون بالأمة الدوائر، فعلى كل علماء الأمة أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية وما يثير الحفائظ والعصبية، فهي من أعظم المحرمات في هذه الظروف التي أحاطت بالأمة فيها الأعداء من الداخل والخارج.

٥-التفريق بين العقيدة التي يجب الإيمان بها وبين المعارف الفكرية التي تختلف فيها الآراء دون أن تمس العقيدة، فبهذا التفريق تجتمع الأمة على ما اتفقت عليه ويعذر بعضها بعضاً فيما اختلفت فيه، ويومئذ يعود المسلمون كما كانوا أمة واحدة دينها الإسلام وكتابها القرآن ورسولها محمد (ص) تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتقبل الكلام فيما وراء ذلك على أنه آراء يدلي كل بما يراه منها دون أن تسيء إلى وحدة المسلمين أو أن تكون عاملاً من عوامل فرقتهم وضعفهم.

الهوامش:

١ – الآية ١٠ ، سورة الحجرات.
٢ – الآية ١٠٣ ، سورة آل عمران.
٣ – الآية ٩٢ سورة الأنبياء.
٤ – رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة.
٥ – أخرجه أبو داود وابن ماجه.
٦ – انظر جريدة الأهرام، عدد الخميس ٢٤ شوال ١٤٢٧هـ.
٧ – انظر الخطاب الديني رؤية نقدية، الدكتور نصر أبو زيد، القرآن والتشريع، الدكتور مهندس محمد شحرور، المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح للأستاذ سالم إسلامبولي.
٨ – انظر مجلة الأزهر، عدد ٤، ص١٠٦٦.
٩ – انظر الفقه الإسلامي في طريق التجديد، الدكتور محمد سليم العوا، ص١٩٦، ط القاهرة.
١٠ – انظر الوحدة الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص٢٣، بحث منشور في كتاب، حول الوحدة الإسلامية، نشر منظمة الإعلام الإسلامي، طهران.
١١ – انظر هموم داعية الإمام محمد الغزالي، ص١٦٦.
١٢ – انظر الاستشراق، الدكتور ادوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، ص٢١٣، ط بيروت.
١٣ – انظر الوحدة الإسلامية محمد أبو زهرة، المرجع السابق.